﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾

[القصص: 41]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

فرعونُ وقومُهُ أئمَّةٌ في الضَّلالِ، ودعاةٌ إلى النّار، ولا خلاق لهم في الآخرة

لمّا كانَ فرعونُ وقومُهُ أوَّلَ مَنْ أصرَّ في ذلكَ الزَّمانِ على تكذيبِ الآياتِ، وإخفاءِ الحُجَجِ والدَّلالاتِ على تواليها وكثرتِها، وطولِ زمانِها وعظَمتِها؛ قالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[1]، فهم أهلُ زور وفجور، وأصحابُ عناد وتكذيب؛ ولذلك فإنَّهم ومن يقتدي بهم في الضَّلال والكفر لا يجدون لهم ناصرًا يوم القيامة، وسيجتمع عليهم خزيُ الدُّنيا وهَوانُ الآخرة، وبئسَ المصيرُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَئِمَّةً﴾: (أمّ) أصْلٌ يدُلُّ على تَضامٍّ شيءٍ أو أشياء متجانِسَةٍ في حيِّزٍ يُحيط بظاهرِها بلُطْفٍ[2]، وتتَفَرَّعُ مِنْ هذا الأصل أبْوابٌ مُتَقارِبَةٌ: كالأصْلِ، والمَرْجِعِ، والجَماعَةِ، والدّين، والقَصْدِ[3]، فالإمامُ: المُؤتَمُّ بهِ، إنسانًا كانَ يُقتدَى بقولِهِ أو فعلِهِ، أو كتابًا، أو غيرَ ذلكَ، مُحِقًّا كانَ أو مُبطِلًا، وجمعُهُ: أئمَّةٌ، أصله: (آمِمَة) على وزنِ فاعِلة، مثلُ إناءٍ وآنية، وإلهٍ وآلهة، فأدغمت الميم، ونُقِلت حركتُها إلى ما قبلها، فلمّا حرّكوها بالكسر؛ جعلوها ياءً[4]، وقولُهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]، أي: بالَّذي يقتدونَ بهِ، وقيلَ: بكتابِهم[5]،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 298.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أمم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أم).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (أمم).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (أمم).

والأئمَّةُ في قولِهِ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ جمعُ إمامٍ، وهو مَنْ يُقتدى بهِ في الدّين أو في الدُّنيا[1].

2) ﴿يَدْعُونَ﴾: (دعو) أصلٌ يدلُّ على إمالةِ الشَّيءِ إليكَ بصوتٍ وكلامٍ يكونُ منكَ[2]، والدُّعاءُ: الرَّغبةُ إلى اللّهِ فيما عندَهُ مِنَ الخيرِ، والابتهالُ إليهِ بالسُّؤالِ[3]، وتقولُ: دَعَوْتُهُ؛ إذا سألتَهُ، وإذا استغثتَهُ، قالَ ﷺ: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: 68]، أي: سَلْهُ، وقالَ تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: 40 - 41]؛ تنبيهًا أنَّكم إذا أصابَتْكم شدَّةٌ؛ لم تَفْزَعوا إلّا إليهِ، والدَّعوى: الدُّعاءُ، قالَ سبحانَهُ: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: 10]، والادِّعاءُ: أنْ يدَّعيَ شيئًا أنَّهُ له[4]، والدُّعاء إلى النّار في الآية: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، هو إمالتُهُمُ النّاسَ - بأقوالِهم وأفعالِهم - إلى العمل الموقِعِ في النّار.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وجعَلْناهم أئمَّةً يدعونَ مَنْ سلكَ سبيلَهم، وأخذَ بطريقتِهم إلى أعمالِ أهلِ النّارِ، ويومَ القيامةِ لا ينصرُهم ناصرٌ؛ إذا عذَّبَهم اللّهُ، فاجتمعَ عليهِم خِزْيُ الدُّنيا، موصولًا بذُلِّ الآخرةِ[5].

المُعرِض يتوالى عليه خذلان الدنيا وعذاب الآخرة

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ عطفِ الجملة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾:

جملةُ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ معطوفةٌ على جملةِ: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾، أي: (استكبَروا، فكانوا ينصرونَ الضَّلالَ،

الجمعُ بينَ الاستكبارِ والإضلالِ، سببٌ لتعجيل الاستئصال

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 59.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دعو).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (دعو).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (دعو).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 582، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 238.

ويُثْوَنَهُ)[1]، وفي هذا العطفِ تنبيهٌ على جمعِهم بينَ قبيحتينِ، وهما الاستكبارُ والإضلالُ.

سرُّ إسنادِ الجعلِ إلى ضميرِ العظَمةِ:

أُسنِدَ فعلُ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلى نونِ العظَمةِ لتعظيمِ شأنِ الجعلِ وتفخيمِه، فهو جعلُ العظيمِ القادرِ على كلِّ شيءٍ.

نكتةُ اختيارِ لفظِ الجعلِ:

عُبِّرَ بالجعلِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ لأنَّ مِنْ معاني الجعلِ التَّصييرَ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ اللهَ تعالى قد صيَّرَهم دُعاةً إلى الضَّلالِ، يقتدي بهم الكفّارُ في ضلالتِهم[2]، حتَّى كأنَّ صوَرَهم تمحَّضَتْ للإضلالِ، وقُلِبَتْ حقائقُهم إليه، ويحتملُ أنْ يكونَ الجعلُ بمعنى الخلقِ[3]، فيفيدُ الكلامُ المبالغةَ في كونِهم ضُلّالًا مُضلّينَ، وكأنَّ الضَّلالَ والإضلالَ مِنْ عناصرِ تكوينِهم الَّتي خُلِقوا منها، فقد خُلِقَتْ نفوسُهم مُنصرفةً إلى الشَّرِّ، ومُعرِضةً عن الإصغاءِ للرُّشدِ، وكانَ وجودُهم بينَ ناسٍ ذلكَ شأنُهم، واللهُ بعثَ إليهم الرُّسُلَ لإرشادِهم، فلم ينفعْ ذلكَ، وإنَّما أصرّوا على الكفرِ[4].

المبالغةُ في وصفِهم بالإضلالِ مُبَيِّنَةٌ لحالِهم في الدَّعوةِ للضَّلالِ

سرُّ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿أَئِمَّةً﴾:

جيءَ بلفظِ ﴿أَئِمَّةً﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ للمبالغةِ في ضلالِ فرعونَ وجُنودِه وإضلالِهم؛ لأنَّ الإمامَ مَنْ يُقتدَى بهِ في عملٍ مِنْ خيرٍ أو شرٍّ[5]، وإنَّما جعلَهم اللهُ تعالى أئمَّةً في الضَّلالِ؛ لأنَّهم بلغوا في هذا البابِ أقصَى النِّهاياتِ، ومَنْ

بيانُ بلوغِ فرعونَ وقومِهِ في الضَّلالِ أقصَى النِّهاياتِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 126.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 307، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 14.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 74.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 126.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 126.

كانَ كذلكَ؛ استحقَّ أنْ يكونَ إمامًا يُقتدَى بهِ في ذلكَ البابِ[1]، ولأنَّ أمرَهم شهيرٌ، فلا يكادُ أحدٌ يجهلُهُ، فكلُّ مَنْ فعلَ مِثْلَ أفعالِهم - مِنْ ردِّ الحقِّ والتَّجَبُّرِ على الخلقِ - فكأنَّهُ قد اختارَ الاقتداءَ بهِم، وإنْ لم يكنْ قاصدًا ذلكَ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَدْعُونَ﴾:

دعـوتُـهـم إلى النّارِ مُستمِرَّةٌ، فآلت بهم إلى المُفسَدة والمعَرَّة

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الإضلالَ شأنُهم ودَيْدَنُهم، فهم يدعونَ إلى النّارِ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، أي: هم قُدوةٌ لكلِّ كافرٍ وعاتٍ إلى يومِ القيامةِ[3].

بلاغةُ الإيجازِ في لفظ ﴿يَدْعُونَ﴾:

بـيـانُ دَعـوَةِ فرعونَ وجُنودِهِ النّاسَ إلى النّارِ

في قولِ الحقِّ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إيجازٌ بحذفِ مُتعلِّقِ الفعلِ ﴿يَدْعُونَ﴾، والمعنى: (يدعونَ النّاسَ)[4]، أو: (يدعونَ مَنِ اغترَّ بحالِهم[5]، فضلَّ ضلالَهم)؛ فإنَّ فرعونَ وجنودَه أئمَّةٌ في الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ؛ لأنَّهم يَدْعونَ غيرَهم إلى ما يوصِلُ إلَى النّارِ، وسعيرِها، والاحتراقِ بها[6].

دلالةُ الحرف ﴿إِلَى﴾:

مُنتهَى الظَّلَمة الفجّار دعوتُهم النّاسَ إلى النّار

حرفُ الجرِّ ﴿إِلَى﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ لانتهاءِ الغايةِ المكانيَّةِ، وفي التَّعبيرِ بهِ إشارةٌ إلى أنَّ غايةَ إضلالِهم هي النّارُ، وأنَّهم لا يَقودونَ مَنِ اقتدَى بهِم إلّا إلى ما يوجِبُ لهُ العذابَ المقيمَ.

بلاغةُ المجازِ في قوله: ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾:

بيانُ أنَّ دعوتهم إلى مـوجِـبـاتِ الـنّـارِ، دعـوى للكفر والعصيان

في قولِ اللهِ سبحانَه: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ مجازٌ مُرسَلٌ، فالنّارُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 601.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 298.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 289.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 14.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 298.
(6) محمّد سيّد طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 10/ 409.

مجازٌ عن المعاصي الَّتي هي سببُها[1]، والمعنى: (يدعونَ إلى موجِباتِ النّارِ مِنَ الكفرِ والمعاصي)[2]، ونكتةُ هذا المجازِ: أنَّ السَّببَ لكمالِهِ في السَّببيَّةِ، كأنَّهُ عينُ المُسبَّبِ[3].

دلالةُ عطفِ ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾:

الدّاعي إلى النّارِ أولى بالنّارِ، ولا ناصرَ لهم يومَ يومَ القيامة

الواو في أوَّل قول اللّه تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ للعطف، فالجملة معطوفة على جملة: ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾، أي: (جعَلْناهم أئمَّةً يدعون إلى النّار، وجعلْناهم أئمَّةً لا يُنصرون يومَ القيامة)[4]، وإذا كانَ فرعونُ وجُنودُهُ يدعونَ إلى النّارِ؛ فهُم مِنْ أهلِ النّارِ بالأحرى، فلذلكَ قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾، أي: لا يجدونَ مَنْ ينصرُهم، فيدفعُ عنهُم عذابَ النّارِ، ومناسبةُ العطفِ أنَّ الدُّعاءَ يقتضي جُنْدًا وأتباعًا يعتزّونَ بهِم في الدُّنيا، ولكنَّهم لا يُغنونَ عنهُم يومَ القيامةِ مِنَ اللّهِ شيئًا[5].

سرُّ تقديمِ قوله: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾:

الخَيبَة فُقْدانُ النُّصرةِ عندَ شدَّةِ الحاجةِ إليها

قُدِّمَ ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ على ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾، ولم يقل: (ولا يُنصَرونَ يومَ القيامةِ)؛ للعنايةِ بكونِ عدمِ النُّصرةِ لهُم واقعًا في يومِ الأهوالِ والأفزاعِ، وفي ذلكَ مزيدُ تقبيحٍ لسوءِ عاقبتِهم، حيثُ يَفقِدونَ النُّصرةَ عندَ شدَّةِ احتياجِهم إليها، ولا يُغني عنهُم كِبْرياؤُهم وجَبَروتُهم الَّذي كانوا عليهِ في الدُّنيا، كما أنَّ في تأخيرِ الفعل ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ مراعاةً لِتلاؤُمِ الفواصِل.

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 75.
(2) الزمخشري، الكشّاف: 3/ 415، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 179.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 526.
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 262.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 126.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾:

جيءَ بصيغةِ المضارعِ المنفيِّ في قولِ اللهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ عدمَ النُّصرةِ أمرٌ مُستمِرٌّ يومَ القيامةِ في عمومِ الأوقاتِ[1]؛ لأنَّ صيغةَ المضارعِ تفيدُ الاستمرارَ، فإذا دخلَ عليها النَّفيُ؛ أفادتِ استمرارَ الانتفاءِ، وفي ذلكَ تقنيطٌ لهُم، وقَطْعٌ لحبائلِ آمالِهم، وتربيةٌ للمَهابةِ في نفوسِهم.

التَّخويفُ بقَطعِ حَبلِ الأملِ والتَّقنيطُ مِنْ حصولِ النُّصرةِ

نكتةُ حذفِ متعلَّقِ النُّصرةِ ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾:

جاءتِ الآيةُ الكريمةُ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بحذفِ متعلِّقِ فعلِ النُّصرةِ، وإطلاقِه بلا قَيدٍ، فقال تعالى: ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾، ولم يقلْ: (لا يُنصَرونَ بكذا)؛ لإفادةِ انتفاءِ النُّصرةِ بجميعِ وجوهِها وأشكالِها، فالنُّصرةُ في الأصلِ دفعُ المَضَرَّةِ ودفعُ العذابِ، إمّا مجّانًا كالشَّفاعةِ، أو قَهْرًا، أو مكافأةً لِما أحسنَهُ، والكلُّ مُنتَفٍ هنا[2]، فالمعنى: (لا يُنصَرونَ بدفعِ العذابِ عنهُم بوجهٍ مِنَ الوجوهِ)[3]، وفي ذلكَ مزيدُ تيئيسٍ وتقنيطٍ لهُم، ومزيدُ تخسيرٍ وتحسيرٍ.

النُّصرةُ مُنتفيةٌ بجميعِ وجوهِها، قطعًا لأيِّ ظنٍّ أو أملٍ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأئمَّةُ والهُداةُ:

الإمامُ هو المُؤتَمُّ بهِ، إنسانًا كانَ يُقتدَى بقولِه أو فعلِه، أو كتابًا، أو غيرَ ذلكَ، مُحِقًّا كانَ أو مُبطِلًا، وجمعُهُ: أئمَّةٌ[4]، والهدايةُ: دلالةٌ بلُطْفٍ، والهدايةُ باللُّطْفِ لا تناسبُ حالَ فرعونَ وجُنودِهِ الَّذينَ يَقْسِرونَ النّاسَ على طاعتِهم، ويدعونَهم إلى ما فيهِ هلاكُهم في الدُّنيا والآخرةِ؛ ولذلكَ لم يُعبَّرْ بها في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

الدَّلالةُ بلُطْفٍ لا تناسبُ حالَ فرعونَ وجُنودِهِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 526.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 526.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 291.
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (أمم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»